الوفد... الهيئة الوحيدة المدخرة ليوم الكفاح

وجهت منذ أيام خطابًا مفتوحًا لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا، وفيه أبديت عدة ملاحظات على ما جاء بخطبته التى ألقاها بباش الشعرية أخيرًا وطالب فيها بأن تأخذ العدالة مجراها مع وزير الداخلية السابق وجميع حضرات زملائه أعضاء الوزارة السابقة، لأنَّ الأوامر صدرت لبلوك النظام فى الإسماعيلية بمقاومة العدوان الإنجليزى الغاشم عليهم يوم 25 يناير الماضى.

ولقد فسَّر سعادة الدكتور هيكل باشا هذه الأوامر بأنَّ معناها «موتوا أو انتحروا».

وبعد تحرير هذا الخطاب ونشره تذكرت موقفًا لحضرة صاحب السعادة الشيخ المحترم أحمد على علوبة باشا فى مجلس الشيوخ، وسعادته كما يعرف الناس عضو بارز فى حزب الأحرار الدستوريين وكان يتزعم المعارضة فى المجلس فى عهد حكومة الوفد الأخيرة.

وموقفه أنَّه بجلسة 4 ديسمبر سنة 1951 وكانت المناقشة دائرة حول تقرير لجنة الجواب على خطاب العرش أثار موضوع البوليس الموجود فى منطقة القنال وتحدث عن قلته وقلة سلاحه.

وبعد نقاشٍ طويلٍ بين سعادته وسعادة وزير التجارة السابق وبعض حضرات الشيوخ المحترمين قَال له سعادة الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف السابق ما نصه:

«لا يصح مطلقًا أن تطلب من الحكومة أن تسلح الشرطة التسليح الذى يمكنها

من مقاومة الجيوش، فللبوليس وظيفة أخرى. والنذالة إنما تأتى من الجيش الذى يهاجم البوليس كأنما هم فى ميدان حرب، فإذا نفد فرضًا ما فى يد رجل البوليس من ذخيرة، فليس المسئول هو البوليس ولا الحكومة.. وإنما المسئول هو الجبان الذى يرسل جيشًا لمقاومة بوليس ليس فى ميدان حرب وإنما فى مدينة آمنة.

وهنا أجاب سعادة علوبة باشا بما نصه:

«الحكمة فى أن يعزز تسليح البوليس إنما هى تمكينه من رد الاعتداء عليه والدفاع الشرعى عن نفسه».

هذا كلام سعادة علوبة باشا وهو واضح صريح، لا لبس فيه ولا غموض.

فقد طالب بتعزيز تسليح البوليس ليستطيع عند اللزوم رد العدوان الموجه إليه والدفاع الشرعى عن نفسه. أما محاربة البوليس لجيش جرار مجهز بأحدث الأسلحة فلم يقل سعادته بهذا ولم يطالب به.

فلنعد إلى واقعة الإسماعيلية التى وقعت يوم 25 يناير الماضى، إنها تلخصت فى أنَّ جيشًا جرارًا من الإنجليز مسلحًا بكافة أنواع الأسلحة الحديثة من دبابات ومدافع ميدان اتجه نحو ثكنات بلوك النظام وحاصرها حصارًا محكمًا وسدد مدافعه الضخمة نحوها.

وبعد أن تم تدبير ذلك كله طلب إلى حضرة الضابط رئيس البلوك أن يسلم قوته وأسلحتها.

فواضح أنَّ هذه القوة لم تكن تحارب ولم تكن تهاجم ولم تبدأ بعدوان، بل كانت مستقرة فى ثكناتها فطلب منها التسليم. طلب منها العار كل العار، فبغض النظر عن أمر يصدره أو لا يصدره وزير الداخلية لم يكن جائزًا لهذه القوة أن تسلم لا سلاحها ولا أفرادها، لأنَّ معنى التسليم تمريغ شرفها كقوةٍ عسكريةٍ فى الوحل.

ولو أنَّ وزير الداخلية أمر هذه القوة بأن تسلم لوجب أن يحاسب على ذلك

حسابًا عسيرًا لأنه يكون قد دنَّس شرف العسكرية المصرية وأهان العلم المصرى.

كان سعادة علوبة باشا يقول كيف تكون القوة بالإسماعيلية قليلة إلى حد أنَّ البعض كان يقدرها بستين عسكريًا، فإذا افترضنا صحة معلوماته عندما تكلم فى 4 ديسمبر الماضى فيكون معنى أسر حوالى ألف عسكرى فى 25 يناير هو أنَّ الحكومة استطاعت أن تنفذ رغبته وتعزز هذه القوة تعزيزًا عجيبًا لم يخطر لسعادته على بال وقت أن تكلم.

ألا يكون عجيبًا أن يلام وزير الداخلية على التعزيز وعلى المحافظة على سمعة البوليس العسكرية. مسكين وزير الداخلية السابق أنه ملوم سواء أكانت القوة قليلة العدد أم كثيرة العدد سلاحها قليل أم سلاحها كثير، هو ملوم فى نظر خصومه وخصوم الوفد مهما فعل.

ألا فليعلم خصوم الوفد أنَّ تلك القوة التى استعملت حقها فى الدفاع الشرعى عن نفسها يوم 25 يناير الماضى بالإسماعيلية إنما دافعت عن سمعة مصر وشرفها العسكرى أيضًا.

ألا فليعلم خصوم الوفد أنَّ الصفحة التى سجلها حضرة الضابط الجرىء مصطفى رفعت لهى صفحة فخر ومجد لا تمحى وأنَّ مصر يوم تتحقق لها أهدافها الوطنية لتكون مدينة لهذا الضابط العظيم وأعوانه. ولإخوانهم من رجال البوليس الذين كافحوا قبلهم فى منطقة القنال ويوم عادوا إلى العاصمة استقبلهم داخل محطتها وزراء الشعب الذين مثلوا فى ذلك الاستقبال الحافل حكومة الشعب. حكومة الثورة ضد الاستعمار البريطانى الغاشم.

ويكفى هؤلاء وأمثالهم فخرًا أنهم عندما وصلوا إلى قصر عابدين العامر شملهم جلالة الملك المعظم أعزَّه الله بعطفه وعظيم تقديره فندب حضرة صاحب السعادة عمر فتحى باشا كبير ياورانه لمقابلتهم وإبلاغهم أبلغ آيات التقدير من جانب جلالة مولانا الملك.

فليتق الله الذين تحملهم خصومتهم للوفد على تشويه كفاح هذه الأمة الكريمة لا لشيء إلا لأنَّ هذا الكفاح جاء نتيجة مباشرة لثورة حكومة الوفد على بريطانيا العظمى.

وليعلم خصوم الوفد أنَّ الوفد وحده هو القوة الوحيدة المدخرة فى مصر ليوم الكفاح والنضال إذا حان حينه وأدركنا أوانه.

وإنَّ غدًا لناظره قريب.